تقديم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى أَشرَفِ الخَلقِ وخَاتَمِ الأَنبياءِ والمُرسَلينَ، سَيِّدنا أَبِي القاسِمِ المُصطَفَى مُحَمَّدٍ وآلِه الطَّيبينَ الطَّاهِرينَ. أَمَّا بعدُ.

بعدَ ظُهُورِهِ كَلَونٍّ شِعريٍّ جَديدٍ في بدايةِ عَصرِ الرِّسالةِ، نَالَ (المَديحُ النَّبويُّ) مَنزلَةً مُهمَّةً من لَدُنِ الرَّسولِ الكريمِ صلى الله عليه وآله نَفسِهِ في ثَنَائِهِ عَلَى الشُّعراءِ، واحتضَانِهم وتَكريمِهِم، وتَوجيهِهِم بما يَتَنَاسَبُ وعَظَمة الدَّعوة الإسلاميَّة، مِمَّا أَثَّر في كثيرٍ مِنَ الأممِ الأخرى، التي أَخذتْ تَنحو المَنحَى ذَاتَهُ في إعلانِ تمسُّكِها بالرَّسولِ والرِّسالَةِ، فبرزَ في هذا المِضمَارِ شُعراءُ الحَواضِرِ التَّابعةِ للدَّولَةِ الإسْلَاميَّة، وازدادَ عَدَدُ الشُّعراءِ النَّاظمينِ، وكانَ أَغلبهُم منَ المُتقدِّمينَ المتميِّزينَ في هذا اللونِ الشِّعريّ الذي تَفرَّعَ إلى أَلوانٍ جديدةٍ، أَشهرُها (البَديعِيَّات)، التي كانَ صَدَاها، إبَّانَ فترةِ الحروبِ الصَّليبيةِ، مُعجِزًا يُعبِّرُ عن استلهَامِ المَعانِي والقِيمِ السَّاميةِ في التمسُّكِ بروحِ الرِّسالةِ المحمديَّةِ، وشَحذِ الهِمَمِ في الجِهَادِ، ومُقارَعَةِ الظلمِ والاستبدادِ.

وتُعَدُّ البَديعيَّاتُ منَ التَّجاربِ الجَديدةِ التي كانت حضورُها فاعلًا في تاريخ الأَدبِ العربيّ، ولنا في الحِلَّة الفيحاءِ ما نفخرُ به من أَنَّها أَطلقتْ صَوتَ المَديحِ النَّبويِّ من خلالِ شاعرِ العَرَبِ الكبيرِ صَفِيِّ الدِّينِ الحِلِّي في مِيميَّتِهِ المُسمَّاة (الكافيَة البَديعيَّة).

وإنَّ استمرارَ المَدائحِ النَّبويَّةِ طيلةَ القرونِ المُتعاقبةِ دَليلٌ علَى أَنَّ القِيَمَ السَّاميةَ التي جَاءتْ بها الرِّسالةُ المُحمَّديَّةُ هي الحَاجَةُ المُلحَّةُ لبني البَشَرِ، وهي المَلاذُ الآمِنُ الذي يَستمدُّ قوتَهُ من قوَّةٍ روحانيَّةٍ عظيمةٍ جادَ بها الخالقُ العظيمُ للإنسانيَّةِ، من خلالِ صَاحبِ الرسالةِ المَبعوثِ بالنُّبوَّةِ المصطَفَى ﷺ. فشخصيَّةُ الرَّسولِ الكريمِ هي الأَكثرُ ذِكرًا ومَدحًا في التاريخ الإسلاميّ، لما تَتَمَتَّعُ بهِ من تَأثيرٍ كبيرٍ في نُفُوسِ المُسلِمِينَ وغيرِ المُسلِمِينَ، حتَّى قيلَ في حَقِّهِ ﷺ مِنَ الشِّعر والنَّثر ما لا يُمكِنُ حَصرُهُ.

ومدينة الحِلَّة منَ الحَواضِر الإسلاميَّة التي تَمتلِكُ تاريخًا حَافلًا بالعِلمِ والمَعرفَةِ والأَدبِ، كانتْ وما زالتْ فَضَاءً إبداعيًّا في عَالمِ الشِّعرِ الولائِيّ خاصَّةً، وما هذهِ النَّماذِجُ التي اختَارَها وانتَقَاهَا البَاحِثُ المُحَقِّقُ الدكتورُ سَعَدٌ الحَدَّاد مِنَ الشِّعرِ النَّبويِّ، إنَّمَا هي تُعبِّرُ عن التزامِ شُعراءِ هذه المدينةِ بالرِّسالةِ وصاحبِها النَّبيِّ الكريم ﷺ.

ونحنُ في مَركَزِ العَلَّامَةِ الحِلِّي نسألُ اللهَ أَنْ يتقبَّلَ مِن جَميعِ مَنْ كانَت لهُ بَصمَةٌ في هذا العَملِ، من إعدَادِه حتَّى نَشرِهِ، سَائلينَ العلِيَّ القَديرَ أَنْ يَرزقنَا شَفَاعَةَ النَّبيِّ

الكَريمِ وآلِهِ الطَّيِّبينَ الطَّاهرينَ.

وآخِرُ دَعوَانا أَنِ الحَمدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ.

مركز العلامة الحلي
لإحياء تراث حوزة الحلة العلمية
الحلة المشرفة

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصَّلاةُ والسَّلامُ على المبعوثِ رحمةً للعالمينَ وعلى آله الطيِّبينَ الميامينَ وأَصحابِهِ المُنتَجبينَ.

وَأَنتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ الـ أَرضُ وضَاءَتْ بِنُورِكَ الأُفُقُ

بمديحِ زَعيمِ قريش[1] عَبدِ المُطَّلبِ لَحفيدِه المُصطَفَى ﷺ عندَ ولادتِهِ، يَكمُنُ سِرُّ الاحتفاءِ، وسِرُّ الامتدادِ للأَصلابِ الطاهرةِ والأَرحامِ المُطهَّرة، بل هو اطمئنانٌ روحيٌّ عَبَّرَ عنه قولُهُ تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾[2].

وهو مفتتحٌ وضَّاءٌ رسمَ طريقًا نحو غَرَضٍ شعريٍّ لم يألفهُ شعراءُ ما قبل الأسلام، في الإنشادِ لشخصٍ ما، دونَ الحصولِ على مكاسبَ دنيويَّةٍ مباشرةٍ.

فكانتْ قصائدُ طلبِ العَفو والسَّماحِ والمَغفرةِ، وما يتعلَّقُ برغباتِ الإنسانِ

---

(١) قيل لعمِّ النبيِّ الكريم ﷺ العبَّاس بن عبد المطلب. وقيل غير ذلك.
ينظر: المعجم الكبير ٤/ ٢١٣، المستدرك على الصحيحَين ٣/ ٣٢٦، البداية والنهاية ٢/ ٢٥٩.

(٢) سورة آل عمران ٣٤.

الرُّوحيَّةِ والنَّفسيَّةِ، ليكون نَهجًا جديدًا في جسدِ القصيدةِ العربيَّةِ، عُرِفَ فيما بعدُ بـ(الشِّعرِ النَّبويّ)، وهو غرضٌ شعريٌّ متجدِّدٌ قائمٌ على إعلانِ البيعَةِ والولاءِ، وتقديمِ الثناءِ والشكرِ، وذِكرِ مناقبِ حبيبِ إلهِ الخلقِ، سيِّدِ النَّشأتينِ، وخَاتمِ الأَنبياءِ، وسيِّد المرسلينَ، فيه تُنسجُ نبضاتُ العواطفِ كلماتٍ، وتَستفيضُ المَشاعرُ والأَحاسيسُ موسيقى، فتولَدُ القصيدةُ حافلةً بالمحبَّةِ والطمأنينةِ والسَّلامِ، حافلةً بالرِّضا واليُمنِ والأَمانِ، حافلةً بالسُّمو الروحيِّ والإيمان.

ويقينًا إِنَّ الشِّعرَ في حضرةِ النَّبي المصطفى ﷺ يختلفُ في كلِّ عصرٍ باختلافِ الرؤى، واختلافِ المطالبِ، واختلافِ النوازعِ، فالشاعرُ يَسلكُ الطريقَ المؤديةَ إلى تحقيقِ المُبتَغَى، وهو يدلو بما لديه من وسائلَ تعبيريَّةٍ في إثراء قصيدَتِهِ بالصورِ الناطقةِ التي يرسمُها، كصفاتِه الشَّريفةِ ﷺ الخَلقيَّة والخُلقيَّة، منها ما خاطبَهُ ربُّ العزَّةِ والجلالةِ، وأَضفى عليه من السِّماتِ والأَوصافِ في القرآنِ الكريم، من تعظيمٍ وإجلالٍ، أَو ما نُقِلَ بحقِّه عن أَهلِ بيتِهِ الكرامِ وأَصحابِهِ من معاجزَ وكراماتٍ ومواقفَ مختلفةٍ. وما سجَّلَ الرواةُ والمؤرِّخونَ من أَحداثٍ ومَشاهِدَ في حالاتٍ متعدِّدةٍ في الغزواتِ والجهادِ في سبيلِ الله، أَو أَيام السِّلمِ في المَسجدِ والبيتِ والشارعِ وغيرها.

ويبقى الغرضُ الأَكثرُ حريَّةً، والأَنبلُ صِدقًا، ففيه قبلَ كلِّ شيءٍ إعلانُ الولاء العَقديّ، والبيعةُ الراسخةُ، والانتماءُ الروحيُّ لدينِ النَّبيِّ المَمدوحِ ﷺ، الإسلامِ المُحمَّديِّ، الذي أَنارَ القلوبَ والعقولَ، وأَزاحَ دَياجيرَ الظَّلامِ والجَهلِ، فضلًا عمَّا في النَّفسِ من نوازعَ مختلفةِ الأَغراضِ، كالاستغاثَةِ

والنَّجدةِ والدُّعاءِ، وطلبِ الشَّفاعةِ، وتحقيقِ مَطالِبَ دُنيويَّة وأخرويَّة، تَستمِدُّ النَّفسُ الشَّاعرةُ معنويَّاتِهَا لتحقيقِ مَقاصدِهَا عن طريقِ التَّيمُّنِ بذِكرِ نبيِّ الرَّحمة، ورسولِ المَحبَّةِ والسَّلامِ، الذي قالَ فيه الخالقُ العظيمُ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[١].

وإذا كانَ بعضُ الشعراءِ قد نزعَ إلى المبالغةِ في مَدحِهِﷺ، فذلك من «المجمعِ عليهِ أَنَّ المبالغةَ في الأَوصافِ المُحمَّديَّةِ مُمكنَةٌ عَقلًا وعادةً»، على رأي الحمويّ في خِزانَتِهِ[٢]، بل ذهبَ الى التفصيلِ والإقرارِ بالقَولِ: «المبالغةُ في الاصطلاح إفراطُ وصفِ الشَّيء بالمُمكنِ القريبِ وقوعُهُ عادةً. وتقرَّرَ أَنَّ الإغراقَ فوقها في الرُّتبةِ، وهو في الاصطلاحِ إفراطُ وصفِ الشَّيءِ بالممكنِ البعيدِ وقوعُهُ عادةً، والغلو فوقَهما، فإنَّ الإفراطَ في وصفِ الشَّيءِ بالمستحيلِ وقوعُهُ عَقلًا وعادةً، وهو ينقسمُ إلى قِسمَينِ: (مقبولٌ)، و(غيرُ مقبولٍ)، فالمقبولُ لا بُدَّ أَنْ يُقرِّبَهُ النَّاظمُ إلى القبولِ بأَداةِ التقريبِ، اللَّهمَّ إلَّا أَنْ يكونَ الغلوُّ في مديحِ النَّبيِّ فَلا غُلوّ، ويجبُ على ناظمِ الغلوِّ أَنْ يَسبِكَهُ في قوالبِ التَّخيُّلاتِ الحَسَنَةِ التي يدعو العقلُ إلى قَبُولِها في أَوَّلِ وَهلَةٍ»[٣].

والمتتبِّعُ للمدائحِ النَّبويَّةِ في التراثِ الشِّعري العربيّ والإسلاميّ يَرَى بوضوحٍ التوافقَ المَقرونَ بينَ مَدحِ النَّبيِّﷺ ورثائِهِ، وبينَ مدحِ آلِهِعليهم السلام ورثائِهِم، فالمدحُ

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.
(٢) خزانة الأدب للحمويّ ٢٧٧.
(٣) المصدر نفسه ٢٢٩.

والرِّثاءُ هما غَرَضَانِ مُستقلَّانِ، لكنَّهما يُشكِّلانِ مَزيجًا، وقد ازدادَ هذا التَّواشجُ لدى الشُّعراءِ الشِّيعةِ لِمَا عُرِفَ عنهم إيمانُهُم العَقديُّ المُرتبطُ بأَحداثٍ عظيمةٍ كثيرةٍ، أَشهرها حديثُ الكساءِ، وبيعةُ غَدير خُمٍّ، وواقعةُ الطفِّ، التي تعَدُّ نقطةَ الانطلاقِ الكبرى في مواجهةِ الاستبدادِ الأُمويِّ الدَّمويِّ، والدَّعوةُ إلى الحقِّ والعدلِ.

ومن هنا برزَ استثمارُ الفنونِ الشِّعريَّةِ وتوجيهُها في مدحِ النَّبيِّ وآلِهِ صلى الله عليه وآله ورثائِهِ، ونصرةِ دينِ الحَقِّ، فكانَ الشِّعرُ مزدهرًا في كلِّ زمانٍ بهم، ليسَ طلبًا للثوابِ والأَجرِ فحسب، بل لإظهارِ حقائقَ حاولَ أَعداؤهم طمسَها دونَ فَلاحٍ.

ضَمَّتِ المجموعةُ الشِّعريَّةُ هذه نَماذجَ ممَّا صَدَحَتْ بهِ قرائحُ الشُّعراءِ الحِلِّيِّينَ، من قصائدِ الولاءِ- مدحًا ورثاءً- بأَزمانٍ مختلفةٍ، وهناك الكثيرُ الذي وردَ ضمنَ قصائدِ الشعراءِ وهم يتعرَّضونَ بالمدحِ والرِّثاءِ وأَغراضٍ أخرى لأَهل البيتِ عليهم السلام في قصائدِهم، وهذا يعني قوَّةَ الرابطةِ والعلاقةِ والتَّلازمَ في ذِكْرِ النَّبيِّ وآله الأَطهار، لذا يمكنُ القولُ إنَّ ظاهرةَ المديح تَبلْورَتْ فَنًّا شِعريًّا في الاحتفال بالمولدِ النَّبويِّ الشَّريف، إلَّا أَنَّها في الشعر الشيعيِّ تَعدَّت إلى المُزاوجةِ بينَ المَديحِ والرِّثاءِ معًا كغَرَضٍ شعريٍّ واحدٍ بتدفُّقِ العواطفِ وتشوُّقِها، وحركةِ الأَفكارِ وتمرُّدِها، وتَعَالُقِ النَّبضِ بالوصفِ، لتَلِدَ الكلماتِ بحروفِها النورانيَّةِ، وهي تتغنَّى بسيِّدِ المرسلينَ صلى الله عليه وآله.

نسأَلُ اللهَ أَنْ يتقبَّلَ مِنَّا هذا العملَ، ونحنُ نُقدِّمُهُ بينَ يدي رسولِ الإنسانيَّةِ

مساهمةً متواضعةً في الاحتفالِ بذكرى مولدِهِ الشَّريفﷺ.

وآخر دَعوانا أَنِ الحَمدُ للهِ ربِّ العالمينَ.

سعد الحدَّاد

الحلَّة المُشَرَّفة/ صفر الخير ١٤٤٤هـ